الفكر التربوي
عند
الامام ابن قيم الجوزية
رحمه اللّه

د. قتيبة عباس حمد

قسم مقارنة الاديان/ كلية أصول الدين

المقدمة

يعد الفكر التربوي احد مقومات النظام الاجتماعي في الإسلام فمنه تنبع روافد الاخلاق والخصال الحميدة التي بعث بها سيد الكائنات محمد ﷺ ومنه ينهل المسلمون ما يقومون به طريق حياتهم وطبيعة سلوكهم، وكان من أبرز المفكرين الذين رفدوا هذا الفكر بآرائه وأفكاره هو ابن قيم الجوزية- رحمه الله تعالى- الذي كتب وألفّ العديد من الكتب التي أسهمت في وضع ركائز مهمة لهذا االفكر، ساهمت وبشكل كبير في تحديد الأطر العامة له، ولهذا أرتايت أن أكتب في هذا الاطار فكان عنوان بحثي: «الفكر التربوي عند الامام ابن قيم الجوزية- رحمه الله-»، وقد اقتضت طبيعة البحث أن يقسم على أربعة مباحث تناول الاول حياة ابن القيم- رحمه الله- فيما كان المبحث الثاني بعنوان مصادر الفكر التربوي عند الامام ابن القيم- رحمه الله-، وأما المبحث الثالث فقد تناولت فيه الاساليب التربوية التي كان يتبعها من خلال مؤلفاته أما المبحث الرابع فقد تناول التقسيمات التربوية عنده- رحمه الله- اسأل الله سبحانه ان يوفقني في كتابة هذا البحث لخدمة المجتمع المسلم من خلال ابراز الوجه المضيء للفكر التربوي لهذا العالم الجليل.

المبحث الاول
ترجمة الإمام ابن القيم رحمه الله

أولا-حياته:

هو أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز[١] ابن مكي زين الدين الزرعي ثم الدمشقي الحنبلي الشهير بـ(ابن قيم الجوزية)[٢].

والزرعي: نسبة إلى ازرع- بضم الزاي-، قرية من حوران، وهي ناحية واسعة كثيرة الخير بنواحي دمشق، منها كانت تحصل غلاتها[٣].

وقيم الجوزية: هو والد الإمام، الشيخ أبو بكر بن أيوب الزرعي إذ كان قيماً على المدرسة الجوزية بدمشق[٤]، نسبة إلى واقفها ابن الجوزي البغدادي وهو: محيي الدين يوسف بن الإمام الواعظ المشهور أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن الجوزي القريشي البكري الحنبلي المتوفى سنة (٦٥٦هـ)[٥].

ولد الإمام ابن القيم- رحمه الله- في السابع من صفر سنة إحدى وتسعين وستمائة[٦]، أما محل ولادته فلم يصرح احد من المترجمين له بذلك، بل يذكرون في ترجمته أنه (الزرعي ثم الدمشقي).

ونشأ في كنف بيت علم وفضل، ودين وصلاح، مشهور بالأصالة، مذكور بالجلالة، مشهود له بالعدالة.

والده أبو بكر بن أيوب كان رجلاً صالحاً متعبداً قليل التكلف[٧].

توفي- رحمه الله- ليلة الخميس الثالثة عشرة من رجب وقت آذان العشاء سنة (٧٥١هـ) وبه كمل له من العمر ستون سنة[٨]، وصُلي عليه من الغد بالجامع الأموي عقيب صلاة الظهر، ثم بجامع جراح، ودفن بمقبرة الباب الصغير عند والدته- رحمهما الله- وكانت جنازته حافلة، شهدها القضاة والأعيان والصالحون من الخاصة والعامة.

وتزاحم الناس على حمل نعشه[٩] تقديراً لمنزلته في العلم والمعرفة وتثميناً لما قدمه من جهود كبيرة في خدمة علوم القرآن والسنة من مؤلفاتٍ وأثار خالدة.

ثانياً- منهجه في اتباع القران والسنة.

كان ابن قيم الجوزية- رحمه الله- ينهل علمه من الكتاب والسنة على ما كان عليه اصحاب النبي ﷺ عازفا عن طريقة الفلاسفة ومنهج المتكلمين، يرى الحق في إتباع النصوص والتزامها دون تأويل ولا تعطيل، ولا تشبيه ولا تمثيل، وكان داعية إلى إيقاظ العقول وتحريرها من ربقة التقليد، وبعث الهمم على طلب الحجة والبحث عن الدليل ودفع النفوس إلى الخروج من العصبية الذميمة والأهواء الممقوتة، وكان من منهجه ان لا يقدم على القرآن والسنة شيئاً، ولا يعدل بأقوال الصحابة أقوال غيرهم، ثم يلجأ إلى القياس حيث لا يجد قرآناً ولا سنة ولا قول صحابي، وهو يرى ان القياس الصحيح لا يمكن ان يتعارض مع النص الثابت وقد عاش ابن القيم حياته كلها مجاهداً في سبيل دعوته حريصاً على رد الناس إلى عقيدة خير القرون وعبادة المبشرين بجنة الرحمن، داعياً إلى نبذ الفرقة والاختلاف ورد التنازع إلى الله والرسول ﷺ، وقد أوذي بسبب دعوته وثباته على مبدئه ومخالفة فتاواه لأهواء بعض ممن عاصروه، وسجن مع شيخه ابن تيمية منفرداً عنه ولم يفرج عنه إلا بعد وفاة شيخه في السجن- رحمهما الله-[١٠].

ثالثاً- شيوخه وتلاميذه.

قرأ الشيخ على يد الكثير من العلماء في العلوم كافة بدليل أنه عكف في بداية حياته على والده فتفقه على يديه واخذ عنه علم الفرائض، ثم اخذ بالتردد على المشايخ[١١]، ومنهم ابن عبد الدائم وقد سمع منه الإمام ابن القيم- رحمه الله- الحديث[١٢] وكذلك من تلاميذه ابن تيمية[١٣]، فعندما عاد ابن تيمية من الديار المصرية سنة (٧١٢هـ)، لازمه ابن القيم- رحمه الله- إلى ان مات الشيخ سنة (٧٢٨هـ)، وكان من عيون أصحابه، وأخذ عنه من العلوم الجمة الشيء الكثير[١٤]، كالفقه والفرائض[١٥]، وكذلك فان للإمام ابن القيم تلامذة كثيرون نهلوا من معينه وانتفعوا بعلومه حتى أصبح الكثير منهم مؤهلين للتدريس والفتيا وكان يحضر مجلسه الكثير من طلبة العلم وقد بارك الله في علم الإمام فانتشر في الآفاق وتداوله الأجيال بوساطة هؤلاء التلاميذ نذكر منهم ابن رجب[١٦]، والسبكي[١٧]، وايضا من تلاميذه ابن كثير[١٨].

رابعاً- جهوده العلمية ومؤلفاته :

ان الصفات التي كان يتمتع بها ابن القيم دفعت بوالده ان يحرص بشدة على تعليمه وفي أثناء تعليمه بدأ يرتقي سلم المجد على يديه وعلى يد بقية مشايخه بجد واجتهاد منقطع النظير، وقد ظهر اثر علمه في أعماله التي قام بها مدة حياته، فقد أمَّ بالمدرسة الجوزية مدة، وخطب الجمعة بجامع خليخان، كما تصدر للاشتغال والإقراء ونشر العلم، حيث درس بالمدرسة الصدرية فأفاد وأجاد، وانتصب للتدريس بها[١٩]، كما تصدّى للإفتاء والاجتهاد، وقد امتحن عدة مرات بسبب بعض فتاويه كما كان يناظر أهل البدع والأهواء لينصر الحق ويدحض الباطل، ويناقش المذاهب الفقهية بالحجة والبرهان، ويجادل أهل الكتاب بالتي هي أحسن[٢٠]، ويمكن معرفة مكانته من خلال تلاميذه وطلابه الذين كانوا يحضرون مجلسه وحلقته فقد كان يجلس بين يديه الكثير من التلاميذ الذين كان لهم مكان الصدارة في مختلف العلوم. وكذلك من خلال ما ألفه وصنفه من المؤلفات الكثيرة التي استعملها الخاصة والعامة، وتداولها الأنصار والخصوم فهو ان صح الوصف موسوعة علمية تضم غالبية العلوم الشرعية من عقائد وأصول وفقه وحديث ولغة وتفسير وسلوك وغيرها من العلوم[٢١].

ومن أشهر مؤلفاته: أعلام الموقعين عن رب العالمين، وزاد المعاد في هدي خير العباد، وبدائع الفوائد والطرق الحكمية في السياسة الشرعية ومفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة وإغاثة اللهفان من مصائد الشيطان وتحفة المودود في أحكام المولود والفوائد وجلاء الإفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام وحادي الأرواح إلى بلاد الأفراح وروضة المحبين ونزهة المشتاقين والروح وطريق الهجرتين ومفتاح السعادتين وعدة الصابرين وذخيرة الشاكرين والفروسية والكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية والوابل الصيب من الكلم الطيب ومدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين وهداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى وتهذيب السنن والرسالة التبوكية.

المبحث الثاني
مصادر الفكر التربوي عند الإمام ابن القيم رحمه الله

تعد مصادر الفكر عند أي مفكر المنابع التي من خلالها تبنى افكاره وتُستنبط منها آراؤه ليوظفها في خدمة ما يعتقده ويربي الاجيال على ما استلهمه من هذه المصادر، ومن هؤلاء المفكرين الذين بنوا افكارهم على مصادر محددة هو ابن القيم- رحمه الله- الذي كان يعتمد في خلاصة افكاره ومعظم آرائه على مصدرين مهمين هما كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ومنهجه في ذلك انه يذكر الاية الكريمة من كتاب الله سبحانه او الحديث النبوي الشريف ثم يدلي بدلوه أو انه يذكر الرأي ثم يستشهد بالاية الكريمة او الحديث النبوي الشريف، وسأعرض في هذا المبحث بعضاً من الايات القرآنية الكريمة والاحاديث الشريفة التي أوردها- رحمه الله- في بيان ارائه التربوية.

أولاً- القران الكريم:

أ- طاعة الله ورسوله ﷺ:

عندما يريد ابن القيم- رحمه الله- ان يبين وجوب طاعة الله ورسوله ﷺ يذكر الاية الكريمة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩ ﴾[٢٢] وهذه الآية تبين أمر الله

سبحانه بوجوب طاعته وطاعة رسوله ﷺ ويقول ابن القيم في معرض كلامه عن الاية الكريمة: «أمر تعالى بطاعته وطاعة رسوله ﷺ وأعاد الفعل إعلاما بأن طاعة الرسول تجب استقلالا من غير عرض ما أمر به على الكتاب بل إذا أمر وجبت طاعته مطلقا سواء كان ما أمر به في الكتاب أو لم يكن فيه فإنه أوتي الكتاب ومثله معه ولم يأمر بطاعة أولي الأمر استقلالا بل حذف الفعل وجعل طاعتهم في ضمن طاعة الرسول ﷺ إيذانا بأنهم إنما يطاعون تبعا لطاعة الرسول ﷺ فمن أمر منهم بطاعة الرسول وجبت طاعته ومن أمر بخلاف ما جاء به الرسول ﷺ فلا سمع له ولا طاعة»[٢٣] وهكذا فإن أولي الأمر تجب طاعتهم وتعد من طاعة الله ورسوله ﷺ على أن تكون في طاعة الله ورسوله ﷺ وليس في معصيتهما فيما أمرا وكانها عنه، ثم ينتقل الى أية أخرى ليستنبط منها مسألة مهمة تلامس فكر الأنسان المسلم وطريقة حياته وثقافته العامة ومن أين يأخذها إذ كان يرى ان لا يقدم قولاً على قول رسول الله ﷺ مستدلا بقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ٢ ﴾[٢٤] إذ يقول- رحمه الله-: «فإذا كان رفع أصواتهم فوق صوته سببا لحبوط أعمالهم فكيف تقديم آرائهم وعقولهم وأذواقهم وسياستهم ومعارفهم على ما جاء به ورفعها عليه؟! أليس هذا أولى أن يكون محبطا لأعمالهم؟»[٢٥] ويتضح من خلال كلامه- رحمه الله- كيف أنه كان يرى أن جميع الاراء وتفكير العقول وثقافة الانسان المسلم يجب أن تأخذ من السنة النبوية لا بل يجب أن لايقدم قول ولا رأي ولا ذوق على ماجاء به هادي البشرية ﷺ.

ب- تحريم القول على الله بغير علم:

ينبه ابن القيم- رحمه الله- الى موضوع تحريم القول على الله سبحانه بغير علم في الفتيا والقضاء وجعله من أعظم المحرمات بل جعله في المرتبة العليا منها ويستشهد بالاية الكريمة: ﴿ قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٣ ﴾[٢٦] فرتب المحرمات أربع مراتب وبدأ بأسهلها وهو الفواحش ثم ثنى بما هو أشدُّ تحريماً منه وهو الإثم والظلم ثم ثلث بما هو أعظم تحريمـــاً

منهما وهو الشرك به سبحانه ثم ربع بما هو أشد تحريما من ذلك كله وهو القول عليه بلا علم وهذا يعم القول عليه سبحانه بلا علم في أسمائه وصفاته وأفعاله وفي دينه وشرعه(٢٧).

ويحاول ابن القيم في معرض كلامه عن الاية الكريمة أن يبين جملة من الامور لعل من أهمها:

١-إن من حكمة الله سبحانه وتعالى أنه رتب المحرمات على مراتب عدة وبدأ باسهلها الى ان وصل الى اشدها حرمة وهي القول على الله بغير علم.

٢-إن المحرمات التي نهى الله سبحانه وتعالى عنها ويجب على المسلم أن يجتنبها لابد أنها تندرج ضمن أحد هذه المراتب الاربعة.

٣-إن المحرمات صغيرة كانت أم كبيرة على المسلم أن يجتنبها امتثالاً لامر الله سبحانه في تحريمها.

ثم يُفصّل رحمهُ الله المسألة الأشد تحريماً وهي القول على الله بغير علم من خلال قوله: وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ ﴾(٢٨) فتقدم إليهم سبحانه بالوعيد على الكذب عليه في أحكامه وقولهم لما لم يحرمه: هذا حرام ولما لم يحله: هذا حلال وهذا بيان منه سبحانه أنه لا يجوز للعبد أن يقول هذا حلال وهذا حرام إلا بما علم أن الله سبحانه أحله وحرمه(٢٩).

ج- سلعة الله الجنة:

يبين ابن القيم- رحمه الله- كيف ان الله سبحانه يعرض سلعته الجنة على عباده وثمنها الذي طلبه منهم ويستشهد بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ۚ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ۚ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ﴾(٣٠) ثم يشرح رحمه الله كيف ان الله تعالى جعل الجنة ثمنا لنفوس المؤمنين

وأموالهم بحيث إذا بذلوها فيه استحقوا الثمن وعقد معهم هذا العقد وأكده بأنواع من التأكيد كان من أهم ذلك:

إن الله أضاف هذا العقد إلى نفسه سبحانه وأنه هو الذي اشترى هذا المبيع وأنه أخبر بأنه وعد بتسليم هذا الثمن وعدا لا يخلفه ولا يتركه، وأنه أكد ذلك بكونه حقا عليه، وأنه سبحانه وتعالى أمرهم أن يستبشروا بهذا العقد ويبشر به بعضهم بعضاً بشارة من قد تم له العقد ولزم بحيث لا يثبت فيه خيار ولا يعرض له ما يفسخه، أنه أخبرهم إخباراً مؤكداً بأن ذلك البيع الذي بايعوه به هو الفوز العظيم[٣١] وكل أنواع التأكيد هذه وقد ذكر ابن القيم منها عشرة انما تؤكد عظيم الثمن الذي سيعطيه الله سبحانه لمن بذل النفس والمال في سبيل الله سبحانه ليربي الأجيال أنه كلما كانت النفس والمال رخيصة لله عند المسلم كلما ارتفع ثمنها عند الله ويقول رسول الله ﷺ «**الا ان سلعة غالية الا ان سلعة الله الجنة**»[٣٢].

ثانيا- السنة النبوية:

أ- ذكر الله سبحانه:

يركز ابن القيم- رحمه الله- في فكره التربوي على موضوع ذكر الله سبحانه وحمده على نعمه لعباده، ذلك أن هذا الموضوع يعد مرتكزاً مهماً لتربية الانسان المسلم على طاعة ربه والانقياد له لأن القلب يكون مطمئناً وسليماً ومعافى من المعاصي بذكر الله سبحانه يقول سبحانه: ﴿**أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾[٣٣] ونجد في ثنايا كتبه الكثير من الدعوة لذكر الله في السر والعلن، ويستشهد لذلك باحاديث نبوية منها حديث، أبي مالك الأشعري عن النبي ﷺ أنه كان يقول: «**الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السماء والأرض والصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء والقرآن حجة لك أو عليك كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها او موبقها**»[٣٤]، ويقول في أثر آخر معروف «**اللهم لك الحمد كله ولك الملك كله وبيدك الخير كله وإليك يرجع الأمر كله علانيته وسره وأنت أهل الحمد**»[٣٥] وهذا من أجمع الحمد وأحسنه وقد علّم النبي ﷺ أمته الحمد المفرد والمضاعف فلم يعلمهم في شيء منه هذا الحمد المسئول عنه[٣٦].

ب- أثار المعاصي على الامة:

وعندما يريد ابن القيم أن يحذر من المعاصي ليسلك الانسان المسلم الطريق الامثل في التربية الاخلاقية النبوية النابعة من سيرة رسول الله ﷺ فإنه يحاول أن يبين أثار تلك المعاصي على السلبية على الامة من خلال عرض الاحاديث النبوية في هذا المجال فعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: «**قال رسول الله ﷺ يكون في أمتي خسف ومسخ وقذف قالت عائشة يا رسول الله وهم يقولون لا إله إلا الله فقال إذا ظهرت القينات وظهر الزنى وشربت الخمر ولبس الحرير**»[٣٧] وعن علي ﷺ قال: «**قال رسول الله ﷺ إذا عملت أمتي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء قيل يا رسول الله وما هن قال إذا كان المغنم دولا والأمانة مغنما والزكاة مغرما وأطاع الرجل زوجته وعق أمه وبر صديقه وجفا أباه وارتفعت الأصوات في المساجد وكان زعيم القوم أرذلهم وأكرم الرجل مخافة شره وشربت الخمور ولبس الحرير واتخذت القيان ولعن آخر هذه الآمة أولها فليرتقبوا عند ذلك ريحا حمراء وخسفا ومسخا**»[٣٨] ففي هذين الحديثين وغيرهما كثير من الاحاديث التي أوردها في أغاثة اللهفان يحذر رحمه الله من ان المعاصي والانشغال بالشهوات تؤدي الى نتائج سلبية فيقول في هذا المقام «إذا اتصف القلب بالمكر والخديعة والفسق وانصبغ بذلك صبغاً تاماً صار صاحبه على خلق الحيوان الموصوف بذلك من القردة والخنازير وغيرهما ثم لا يزال يتزايد ذلك الوصف فيه حتى يبدو على صفحات وجهه بدواً خفياً ثم يقوى ويتزايد حتى يصير ظاهرا على الوجه ثم يقوى حتى يقلب الصورة الظاهرة كما قلب الهيئة الباطنة ومن له فراسة تامة يرى على صور الناس مسخا من صور الحيوانات التي تخلقوا بأخلاقها في الباطن فقل أن ترى محتالاً مكاراً مخادعاً ختاراً إلا وعلى وجهه مسخة قرد»[٣٩]، وهذا توصيف دقيق لاصحاب المعاصي وكيف أنهم يمسخون معنوياً وفي هذا الكلام والوصف زجراً لاصحاب المعاصي والذي يتعامل مع أفراد مجتمعه على أساس الاحتيال والمكر والخديعة والتكبر تكون عقوبة دنيوية يرى من خلالها الناس شكله بابشع صورة ولو كان جميلاً جداً.

ج- محبة غير الله وتعلق القلب بها:

وعندما يتكلم رحمه الله عن المحبة وكيف اذا انحرفت عن مسارها الشرعي تحولت الى عبادة غير الله سبحانه ويستشهد بالحديث النبوي الشريف للنبي محمد ﷺ «**تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس عبد القطيفة تعس عبد الخميصة تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش إن أعطى رضي وإن منع سخط**»(٤٠) ثم يعلق رحمه الله عن الحديث فيقول: «فسمى هؤلاء الذين إن أعطوا رضوا وإن منعوا سخطوا عبيداً لهذه الأشياء لانتهاء محبتهم ورضاهم ورغبتهم إليها فإذا شغف الإنسان بمحبة صورة لغير الله بحيث يرضيه وصوله إليها وظفره بها ويسخطه فوات ذلك كان فيه من التعبد لها بقدر ذلك»(٤١)، ومن خلال هذا الحديث ترى أن ابن القيم يحاول أن يربي الفرد المسلم على التعلق بمحبة الله والوصول الى مرضاته وأن الأمور الدنيوية لا بأس للانسان بأن يستعملها في هذا الحياة الدنيا لقضاء حاجاته، لكن لاينبغي أن تتحول تلك الحاجة الى محبة وهذه المحبة الى عبودية فيتعلق القلب بها وتكون شغله الشاغل، ويرتكب في سبيل الحصول على هذه الأمور المحرمات والمعاصي.

«واذا اجتمع مع الدعاء حضور القلب وجمعيته بكليته على المطلوب وصادف وقتا من أوقات الاجابة الستة وهي الثلث الاخير من الليل وعند الأذان وبين الأذان والاقامة وادبار الصلوات المكتوبات وعند صعود الامام يوم الجمعة على المنبر حتى تقضى الصلوة وآخر ساعة بعد العصر من ذلك اليوم وصادف خشوعا في القلب وانكساراً بين يدي الرب وذلاً له وتضرعا ورقة واستقبل الداعي القبلة وكان على طهارة ورفع يديه إلى الله تعالى وبدأ بحمد الله والثناء عليه ثم ثنى بالصلاة على محمد عبده ثم قدم بين يدي حاجته التوبة والاستغفار ثم دخل على الله والح عليه في المسألة وتملقه ودعاه رغبة ورهبة وتوسل اليه باسمائه وصفاته وتوحيده وقدم بين يدي دعائه صدقة فان هذا الدعاء لا يكاد يرد أبدا ولا سيما ان صادف الادعية التي أخبر النبي ﷺ أنها مظنة الاجابة أو أنها متضمنة للأسم الأعظم»(٤٢) فمنها ما في السنن وفي صحيح بن حبان من حديث عبد الله بن بريدة عن أبيه أن رسول الله ﷺ سمع رجلا يقول اللهم إني أسالك باني أشهد أنك أنت الله لا إله الا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن كفوا أحد «**فقال لقد سأل الله بالأسم الذي إذا سئل به أعطي وإذا دعى به أجاب**»(٤٣).

المبحث الثالث
الأساليب التربوية عند ابن القيم

لاشك ان ابن القيم كان يستعمل اساليب تربوية متنوعة نجدها في ثنايا كتبه، حرصاً منه- رحمه الله- على ايصال المفردة التربوية باسلوب جميل وسهل يجذب القارئ لها، ويتفاعل معها لتلامس شغاف قلبه، وهذه الاساليب التربوية لا تجدها في كتاب واحد بل في كتب متعددة فتارة يستعمل ضرب الامثال المذكورة في القرآن الكريم أو السنة النبوية الشريفة وتارة أخرى يستعمل اسلوب الترغيب والترهيب أو أسلوب الموعظة الحسنة أو أسلوب القصة أو الاسلوب الادبي بنثر أو بشعر وساتناول في هذا المبحث بعضاً من أساليب ابن القيم التربوية وكيفية توظيفها في تربية الفرد على الاخلاقيات والسلوكيات الحسنة التي جاء بها رسول الله ﷺ.

أولاً- ضرب الأمثال:

يعد أسلوب ضرب الامثال من الاساليب الموجودة في القرآن الكريم يقول سبحانه: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾(٤٤) ومن الاساليب التي اتبعها ابن القيم- رحمه الله- تعالى في منهجه التربوي ونلحظ ذلك جلياً في كتابه (أمثال القرآن) إذ يأتي بأية قرآنية كريمة ثم يعلق عليها بعد ذلك ليستخرج الدرس التربوي المتوخى من هذا المثل بأسلوب سهل ليتيسر لأي قارى أن يفهم العبرة التربوية التي اراد ايصالها ابن القيم من خلال شرحه لهذا المثل وسأورد مثالين ليتضح كيفية استعمال ابن القيم لهذا الاسلوب التربوي.

أ- قول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾(٤٥).

يقول ابن القيم هذا من أحسن القياس التمثيلي فانه شبه تمزيق عرض الأخ بتمزيق لحمه ولما كان المغتاب يمزق عرض أخيه في غيبته كان بمنزلة من يقطع لحمه في حال غيبة روحه عنه بالموت لما كان المغتاب عاجزاً عن دفعه بنفسه بكونه غائباً عن ذمه كان بمنزلة الميت الذي يقطع لحمه ولا يستطيع أن يدافع عن نفسه ولما كان

مقتضى الأخوة التراحم والتواصل والتناصر فعلق عليها المغتاب ضد مقتضاها من الذم والعيب والطعن كان ذلك نظير تقطيعه لحم أخيه والأخوة تقتضي حفظه وصيانته والذب عنه»[٤٦]، يريد ابن القيم وهو يشرح هذا المثل القرآني كيف أن الفرد المسلم لما يتكلم عن أخيه المسلم ويطعن به، إنما يأكل لحمه وهو ميت وهذا الفعل هو من أقبح الافعال وهو أن يأكل الانسان المسلم لحم أخيه وهو ميت فلذلك، عليه أن يكف عن الغيبة والظن السوء والتجسس وغير ذلك من السلوكيات التي تتنافى والاخلاق التي بعث بها سيدنا محمد ﷺ.

ب- قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾[٤٧].

فشبه سبحانه الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة لأن الكلمة الطيبة تثمر العمل الصالح والشجرة الطيبة تثمر الثمر النافع وهذا ظاهر على قول جمهور المفسرين الذين يقولون الكلمة الطيبة هي شهادة أن لا إله إلا الله فإنها تثمر جميع الأعمال الصالحة الظاهرة والباطنة فكل عمل صالح مرضي لله عز وجل ثمرة هذا الكلمة[٤٨]، ويتضح من خلال كلام ابن القيم- رحمه الله- أنه يحاول أن يشجع الفرد المسلم على الكلمة الطيبة كونها تؤدي الى نتيجة مهمة وهي العمل الصالح، ثم يصل الى حقيقة عظيمة مفادها أن الكلمة الطيبة هي شهادة أن لا اله الا الله وهي التي تثمر جميع الاعمال الصالحة الظاهرة والباطنة ومن خلالها تصلح أعمال العباد.

ثانياً- الترغيب والترهيب:

وهو احد الاساليب التربوية الذي كان يستعمله الامام ابن القيم- رحمه الله- في منهجه التربوي إذ إن هذا الأسلوب له أثر في تحديد اتجاهات الفرد الاخلاقية والسلوكية فتترسخ لديه عقيدة الثواب والعقاب على كل ما يقدمه ويفعله ويقوله في هذه الحياة الدنيا يقول سبحانه: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾[٤٩]، ونظراً للأهمية التي يتمتع بها هذا الاسلوب بوصفه احد الاساليب

التربوية الفاعلة في تربية الفرد المسلم فإننا نجد في هذا الاسلوب شائعاً في مؤلفات ابن القيم وسأعرض لنماذج من هذا الاسلوب الذي استعمله- رحمه الله- لتربية الفرد المسلم على ما يحبه الله ويرضاه.

«الجنة اسم شامل لجميع ما حوته من البساتين والمساكن والقصور وهي جنات كثيرة جدا»[٥٠] ثم ذكر حديث انس بن مالك في البخاري أن أم الربيع بنت البراء وهي أم حارثة بن سرقة أتت رسول الله ﷺ فقالت يا نبي الله ألا تحدثني عن حارثة وكان قتل يوم بدر أصابه سهم غريب فإن كان في الجنة صبرت وأن كان غير ذلك اجتهدت عليه في البكاء قال «**يا أم حارثة إنها جنان في الجنة وإن أبنك أصاب الفردوس الأعلى**»[٥١]، ونلحظ هنا ان ابن القيم- رحمه الله- قبل أن يورد أحاديث عن الجنة ووصفها وبها يحاول أن يعطي وصفاً عاماً عنها، ثم يستطرد في مكان آخر فيقول عن الجنة وعظم فضلها عند الله سبحانه «خلق الرب تبارك وتعالى بعض الجنان وغرسها بيده تفضيلا لها على سائر الجنان وقد أتخذ الرب وتعالى من الجنان داراً اصطفاها لنفسه وخصها بالقرب من عرشه وغرسها بيده فهي سيدة الجنان والله سبحانه وتعالى يختار من كل نوع أعلاه وأفضله كما اختار من الملائكة جبريل ومن البشر محمدا ومن السموات العليا ومن البلاد مكة ومن الأشهر المحرم ومن الليالي ليلة القدر ومن الأيام يوم الجمعة ومن الليل وسطه ومن الأوقات أوقات الصلاة إلى غير ذلك فهو سبحانه وتعالى يخلق ما يشاء ويختار»[٥٢] ثم ذكر حديث أبي الدرداء قال قال رسول الله ﷺ «**ينزل الله تعالى في آخر ثلاث ساعات يبقين من الليل فينظر الله في الساعة الأولى منهن في الكتاب الذي لا ينظر فيه غيره فيمحو ما يشاء ويثبت ثم ينظر في الساعة الثانية إلى جنة عدن وهي مسكنه الذي يسكن فيه ولا يكون معه فيها أحد إلا الأنبياء والشهداء والصديقون وفيها ما لم تره عين أحد ولا خطر على قلب بشر ثم يهبط آخر ساعة من الليل فيقول ألا مستغفر يستغفرني فأغفر له ألا سائل يسألني فأعطيه ألا داع يدعوني فأستجيب له حتى يطلع الفجر قال تعالى وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا فيشهده الله تعالى وملائكته**»[٥٣] ثم ذكر بعد ذلك حديث أنس بن مالك أن رسول الله قال: «**إن الله بني الفردوس بيده وحظرها على كل مشرك وكل مدمن خمر ومتكبر**»[٥٤]، ويتضح مما سبق كيف انه حاول الربط بين موضوع الجنة وما اعد الله سبحانه فيها وبين الفائدة التربوية

المتوخاة من ذلك فبين ان الله يحظر على الذي ينشغل بالمعاصي والذنوب دخول الجنة، فالكلام بهذا الأسلوب يترك أثراً تربوياً ترغيبياً في أن الذي يرغب بدخول الجنة عليه أن يلتزم بما أمر به الله سبحانه ورسوله ﷺ وأن ينتهي عما نهوا عنه ويتكلم رحمه الله في مكان اخر عن المتقين واوصافهم وجزائهم فيقول: «ذكر سبحانه أرباب العلوم النافعة والعمال الصالحة والاعتقادات الصحيحة وهم المتقون فذكر مساكنهم وهم في الجنان وحالهم في المساكن وهو النعيم وذكر نعيم قلوبهم وراحتهم»[٥٥] مستشهداً بقوله تعالى: ﴿ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ﴾[٥٦] ثم يبين رحمه الله معنى التفكه فيقول: «والمقصود أنه سبحان جمع لهم بين النعيمين: نعيم القلب بالتفكه ونعيم البدن بالأكل والشرب والنكاح ووقاهم عذاب الجحيم فوقاهم مما يكرهون وأعطاهم ما يحبون جزاء وفاقا لأنهم تركوا ما يكره وأتوا بما يحب: فكان جزاءهم مطابقا لأعمالهم»[٥٧].

ويذكر ابن القيم وهو يتكلم عن قسم الله سبحانه في سورة الطور وعن قوله تعالى: ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ۝٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ۝٨ ﴾[٥٨]، إذ يحذر من أمرين: أحدهما انه لا دافع لوقوع عذاب الله والثاني لا دافع له اذا وقع[٥٩] وهكذا فان عذاب الله اذا ما وقع فهو نتيجة ضلال ومعاصي تؤدي الى شقاء ومآسي، إذ يرى ابن القيم ان الضلال والشقاء متلازمين لايفترقان[٦٠] ويستدل بقوله: ﴿ فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ۝١٢٣ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ۝١٢٤ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ۝١٢٥ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ۝١٢٦ ﴾[٦١] فيحاولل ابن القيم– رحمه الله– من خلال هذا الاسلوب أن يُشعر الفرد المسلم أن وراءهُ حساب وأن اتباع هدى الله يتبعه السعادة والاعراض عن ذكر الله سبحانه فإنه سيواجه معيشة ضنكاً وسيبعث يوم القيامة اعمى على الرغم من أنه كان يرى في هذا الدنيا لكنه لم يكن يبصر الحق.

إن استشعار هذه الأمور عند الانسان المسلم تؤدي به الى أن يأتمر بإوامر الله ورسوله ﷺ وبالتالي تنعكس هذه السلوكيات التابعة من معين الشريعة الاسلامية ايجاباً على جميع المحيطين بذلك الفرد وتعود عليهم بالنفع والايجاب.

ثالثا- الموعظة الحسنة:

كثيراً ما كان يتخلل كلام ابن القيم- رحمه الله- المواعظ الحسنة الجميلة المؤثرة في قلب القارئ التي تترك أثاراً تربوية يقول سبحانه: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ ﴾[٦٢].

وإذا أردنا أن نأخذ أمثلة على هذا الموضوع نجد أن أكثرها تدور حول القلب والنفس وكيفية تخلصه من الذنوب أو الطرق الموصلة الى الجنة.

يقول ابن القيم عن شهادة لا اله الا الله «فوجه العبد وجهه بكليته اليه واقبل بقلبه وروحه وهمه عليه فاستسلم وحده ظاهراً وباطناً واستوى سره وعلانيته فقال لا اله إلا الله مخلصا من قلبه وقد تخلص قلبه من التعلق بغيره والالتفات الى ما سواه قد خرجت الدنيا كلها من قلبه وشارف القدوم على ربه وخمدت نيران شهوته وامتلأ قلبه من الآخرة فصارت نصب عينيه وصارت الدنيا وراء ظهره فكانت تلك الشهادة الخالصة خاتمة عمله فطهرته من ذنوبه وأدخلته على ربه لأنه لقى ربه بشهادة صادقة خالصة وافق ظاهرها باطنها وسرها علانيتها»[٦٣] وهنا يتكلم عن الآثار التي يتركها تذكر واشعار الموت على الفرد فتجعله يترك الملذات ويتوجه الى الله سبحانه بقلب منكسر بعد ان ايقنت النفس باقبالها على الله سبحانه ثم يقول: «فلو حصلت له الشهادة علي هذا الوجه فى أيام الصحة لاستوحش من الدنيا واهلها وفر الى الله من الناس وانس به دون ما سواه لكنه شهد بها بقلب مشحون بالشهوات وحب الحياة واسبابها ونفس مملوءة بطلب الحظوظ والالتفات الى غير الله فلو تجردت كتجردها عند الموت لكان لها نبأ آخر وعيش آخر»[٦٤].

ويتكلم- رحمه الله- في موعظة أخرى كيف أن التفريق بين حسن الظن والغرور يؤدي الى طريقين الاول طريق والطاعات والثاني طريق المعاصي فيقول: «وقد تبين الفرق بين حسن الظن والغرور وان حسن الظن ان حمل على العمل وحث عليه وساعده وساق اليه فهو صحيح وان دعا الى البطالة والانهماك في المعاصي فهو غرور وحسن الظن هو الرجاء فمن كان رجاؤه جاذبا له على الطاعة زاجراً له عن المعصية فهو رجاء صحيح ومن كانت بطالته رجاءٌ ورجاؤه بطالة وتفريطا فهو المغرور»[٦٥].

وعندما يريد ابن القيم- رحمه الله- أن يعظ الانسان المسلم ليلتزم بالاخلاقيات والسلوكيات التي ترضي الله سبحانه وتعالى، وتكون موافقة لسنة رسول الله ﷺ، فانه

يذكرهم بالشهود الذين سيشهدون عليه فيقول: «وان كل أحد يأتي الله سبحانه ذلك اليوم ومعه سائق يسوقه وشهيد يشهد عليه وهذا غير شهادة جوارحه وغير شهادة الأرض التي كان عليها له عليه وغير شهادة رسوله والمؤمنين فان الله سبحانه يستشهد على العبد الحفظة والأنبياء والأمكنة التى عملوا عليها الخير والشر والجلود التى عصوه بها ولا يحكم بينهم بمجرد علمه وهو أعدل العادلين وأحكم الحاكمين»[٦٦].

وفي موعظة له يتكلم ابن القيم عن النعم التي انعم الله بها على جسم الإنسان كنعمة العين والإذن والبصر والكلام وغيرها يحاول أن يذكر الإنسان بان يؤدي واجب تلك النعم التي استودعها الله سبحانه بكرمه ومنته لدى الإنسان وسأعرض كلامه عن العينين والاذنين على سبيل المثال فيقول رحمه الله: «وكما جعل سبحانه العينين مؤديتين للقلب ما يريانه فيوصلانه إليه كما ترياه جعلهما مرآتين للقلب يظهر فيهما ما هو مودع فيه من الحب والبغض والخير والشر والبلادة والفطنة والزيغ والاستقامة فيستدل بأحوال العين على أحوال القلب وهو أحد أنواع الفراسة الثلاثة: وهي فراسة العين وفراسة الأذن وفراسة القلب فالعين مرآة للقلب وطليعة ورسول ومن عجيب أمرها أنها من ألطف الأعضاء وأبعدها تأثرا بالحر والبرد على أن الأذن على صلابتها وغلظها لتتأثر بهما أكثر من تأثر العين على لطافتها وليس ذلك بسبب الغطاء الذي عليها من الأجفان فإنها لو كانت متفتحة لم تتأثر بذلك تأثر الأعضاء اللطيفة»[٦٧] ويقول عن الاذنين «الأذنان شقهما تبارك وتعالى في جانبي الوجه وأودعهما من الرطوبة ما يكون معينا على إدراك السمع وأودعهما القوة السمعية وجعل سبحانه في هذه الصدقة انحرافات واعوجاجات لتطول المسافة قليلا فلا يصل الهواء إلا بعد انكسار حدته فلا يصدمها وهلة واحدة فيؤذيها وأيضا لئلا يفجأها الداخل إليها من الدبيب والحشرات بل إذا دخل إلى عوجة من تلك الانعطافات وقف هناك فسهل إخراجه»[٦٨] ثم يتكلم بعد ذلك عن وظائف القلب واللسان والمعدة والكبد والشعر والحاجبين واللحية وعن كيفية تكوين الجنين في رحم الأم وعن كيفية هضم الغذاء في جسم الإنسان ليبين عجائب قدرة الله وبالتالي فهي دعوة للمسلم إلى تقواه والالتزام بالأخلاق التي أمر رسول الله ﷺ انطلاقاً من مبدأ أن الإنسان ضعيف وأن تذكيره بتلك النعم التي انعمها الله عليها هو نوع من الموعظة الحسنة التي كان يستعملها ابن القيم– رحمه الله– في تربية الفرد المسلم ليسير على المنهج الصحيح والطريق القويم.

رابعا- الشعر:

يقول رسول الله ﷺ «**ان من البيان لسحراً**»[٦٩] وقد درج ابن القيم في مختلف كتبه على استعمال الشعر ليعبر عن بعضٍ عن أساليبهِ التربوية فنرى أسلوب الترغيب بالجنة وأسلوب الموعظة الحسنة جلياً في أبياته الشعرية، فنراه يتكلم عن احد النعم التي انعم الله بها على عباده في الجنة وهي نعمة النظر الى وجه الله الكريم فيقول:

ولله أفـــراح المحبـــين عنـــدما ... يخـــاطبهم مـــن فـــوقهم ويســـلم
ولله أبصـــار تـــرى الله جهـــرة ... فلا الضـيم يغشـاها ولا هـي تسـأم
فيا نظرة أهدت إلـى الوجـه نضـرة ... أمـن بعـدها يسـلو المحـب المتـيم
ولله كـم مـن خيـرة إن تبسـمت ... أضاء لهـا نـور مـن الفجـر أعظـم
فيـا لـذة الأبصـار إن هـي أقبلـت ... ويـا لـذة الأسـماع حـين تكلـم[٧٠]

ويخاطب- رحمه الله- الذين يحملون هموم الدنيا والذين ضاقت بهم الارض بما رحبت أن يقبلوا على الجنة بصالح الاعمال، ذلك أنهم غرباء في هذه الدنيا وأن دار القرار هي الجنة فيقول:

وأن ضـاقت الـدنيا عليـك بأسـرها ... ولـم يـك فيهـا منـزل لـك يعلـم
فحـي علـى جنـات عـدن فأنهـا ... منازلهـا الأولـى وفيهـا المخـيم
ولكننـا سـبي العـدو فهـل تـرى ... نعـود إلـى أوطاننـا ونسـلم
وقـد زعمـوا أن الغريـب إذا نـأى ... وشطت بـه أوطانـه فهـو مغـرم
وأي إغتـراب فـوق غربتنـا التـي ... لها أضـحت الأعـداء فينـا تحكـم
حي على السوق الـذي فيـه يلتقـي ... المحبون ذاك السـوق للقـوم تعلـم
فما شئت خـذ منـه بـلا ثمـن لـه ... فقد أسلف التجار فيـه واسـلموا[٧١]

ثم يبدأ يفصل في وصف الجنة وما بها ويدعو الى يوم المزيد الذي يرى فيه الرب تبارك وتعالى وكيف أن الله يسلم عليهم ويقول اسألوني ما اشتهيتم في هذه الجنة ويذكر كرم الله تبارك وتعالى ثم يختم ابيات شعره مخاطباً من يترك هذا النعيم الذي يبيعه بثمن بخسٍ أنه عاجلاً أم أجلاً سوف يعلم أن على طريق الخطأ وأنه لابد له أن يراجع نفسه ويعود الى الله سبحانه فيقول:

وحي علـــى يـــوم المزيـــد الـــذي بـــه ... زيـــارة رب العـــرش فـــاليوم موســـم
وحـــــي علـــــى واد هنالـــــك أفـــــيح ... وتربتـــه مـــن إذفـــر المســـك أعظـــم
منـــابر مـــن نـــور هنـــاك وفضـــة ... ومـــن خـــالص العقيـــان لا تتقصـــم
وكثبـــان مســـك قـــد جعلـــن مقاعـــدا ... لمـــن دون أصـــحاب المنـــابر يعلـــم
فبينا هموا فـــي عيشـــهم وســـرورهم ... وأرزاقهـــم تجـــري علـــيهم ونقســـم
ذاهـــم بنـــور ســـاطع أشـــرقت لـــه ... بأقطارهـــــا الجنـــــات لا يتـــــوهم
تجلـــى لهـــم رب الســـموات جهـــرة ... فيضـــحك فـــوق العـــرش ثـــم يكلـــم
ســـلام علـــيكم يســـمعون جمـــيعهم ... بـــــآذانهم تســـــليمه إذ يســـــلم
يقول سلوني مـــا أشـــتهيتم فكـــل مـــا ... تريدون عندي أننـــي أنـــــا أرحـــم
فقالوا جميعـــا نحـــن نســـألك الرضـــا ... فأنت الـــذي تـــولى الجميـــل وتـــرحم
فيعطـــيهم هـــذا ويشـــهد جمـــيعهم ... عليـــه تعـــالى الله فـــالله أكـــرم
فيـــا بائعـــا هـــذا بـــبخس معجـــل ... كأنـــك لا تـــدري بلـــى ســـوف تعلـــم
فإن كنـــت لا تـــدري فتلـــك معصـــية .. وإن كنت تدري فالمعصية أعظم(٧٢).

وفي بعض الأحيان ينقل ابن القيم أبياتاً شعرية تنسب لغيره كما نقل عن عبدالله ابن المبارك قوله:

رأيـــت الـــذنوب تميـــت القلـــوب ... وقـــد يـــورث الـــذل ادمانهـــا
وتـــرك الـــذنوب حيـــاة القلـــوب ... وخيـــر لنفســـك عصـــيانها
وهـــل أفســـد الـــدين الا الملـــوك ... وأحبـــارُ ســـوءٍ ورهبانهـــا(٧٣)

فلاشك أن هذه الابيات الشعرية عندما يقرأها القاريء تنعكس ايجاباً على سلوكياته فتجعله يعيش في ذلك الجو الذي وصفه ابن القيم في الجنة وكيف أن الله سبحانه وتعالى يخاطب المؤمنين وكيف أن الملائكة تكون في خدمتهم وهم يتنعمون بهذا النعيم المقيم فيكون الفرد المسلم الى الجنة اشوق ويبدأ بالتفكر أن الجنة بحاجة الى عمل والى سلوكيات محددة يجب أن يتبعها ويعمل بها وهنا نرى الانعكاسات الايجابية التي ستطرأ على سلوكيات الفرد في مسعى منه لنيل هذه الجنة ومن هنا تبرز الاهمية والفائدة التربوية لهذا الاسلوب التربوي الرائع لابن القيم.

المبحث الرابع
التقسيمات التربوية لابن القيم

يقسم ابن القيم- رحمه الله- بعض الأمور التي يناقشها ضمن منهجه التربوي الى اقسام عدة ليسهل على قارئها فهمها تربوياً ولتكون أقرب الى ملامسة القلوب، ولتنتقل بعد ذلك من الأطار النظري الى التطبيق الواقعي العملي من خلال مطابقة تلك التقسيمات على واقع الانسان نفسه وهذا الامر إن احسن فهمهُ سنرى انعكاساته الايجابية على الفرد المسلم تتضح وبيسر وبسهوله، لاسيما اذا ما علمنا أنَّ معظم تلك التقسيمات يعززها- رحمه الله- بالادلة النقلية من الكتاب والسنة النبوية ومن هذه التقسيمات:

أولاً- القلوب:

يقول ابن القيم في هذا المجال «انقسام القلوب إلى صحيح وسقيم وميت لما كان القلب يوصف بالحياة وضدها انقسم بحسب ذلك إلى هذه الأحوال الثلاثة»[٧٤]، فنلاحظ ان ابن القيم يقسم القلوب بحسب احوالها الى هذه الاقسام الثلاثة ثم يشرع ببيان تلك الاقسام فيقول «فالقلب الصحيح: هو القلب السليم الذي لا ينجو يوم القيامة إلا من أتى الله به»[٧٥] كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾[٧٦]، ثم يوضح بعد ذلك القلب السليم بصورة ادق وأوضح فيقول «القلب السليم: هو الذي سلم من أن يكون لغير الله فيه شرك بوجه ما بل قد خلصت عبوديته لله تعالى: إرادة ومحبة وتوكلاً وإنابةً وإخباتاً وخشيةً ورجاءً وخلص عمله لله فإن أحب أحب في الله وإن أبغض أبغض في الله وإن أعطى أعطى لله وإن منع منع لله ولا يكفيه هذا حتى يسلم من الانقياد والتحكيم لكل من عدا رسوله ﷺ فيعقد قلبه معه عقداً محكماً على الائتمام والاقتداء به وحده دون كل أحد في الأقوال والأعمال من أقوال القلب وهي العقائد وأقوال اللسان وهي الخبر عما في القلب وأعمال القلب وهي الإرادة والمحبة والكراهة وتوابعها وأعمال الجوارح فيكون الحاكم عليه في ذلك كله دقه وجله هو ما جاء به الرسول ﷺ فلا يتقدم بين يديه بعقيدة ولا قول ولا عمل»[٧٧] كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾﴾[٧٨] يتضح من كلام ابن القيم- رحمه الله- وهو يتكلم عن القلب الصحيح والذي عبر عنه بالقلب السليم، إن هذا النوع من القلوب يؤدي الى نتائج تجعل العبد قريب

الصلة بالله فيجعل العبد طاعته ومحبته وتوكله ورجاءه وكل عمله لله ولايقدم قولاً ولا فعلاً صغيراً كان أم كبيراً على ما جاء به رسول الله ﷺ ثم ينتقل ابن القيم بعد ذلك الى القسم الثاني من القلوب وهو القلب الميت فيقول عنه «والقلب الثاني: ضد هذا وهو القلب الميت الذي لا حياة به فهو لا يعرف ربه ولا يعبده بأمره وما يحبه ويرضاه بل هو واقف مع شهواته ولذاته ولو كان فيها سخط ربه وغضبه فهو لا يبالي إذا فاز بشهوته وحظه رضى ربه أم سخط فهو متعبد لغير الله: حباً وخوفاً ورجاءً ورضاً وسخطاً وتعظيماً وذلا إن أحب أحب لهواه وإن أبغض أبغض لهواه وإن أعطى أعطى لهواه وإن منع منع لهواه فهواه اثر عنده وأحب إليه من رضا مولاه فالهوى إمامه والشهوة قائده والجهل سائقه والغفلة مركبه فهو بالفكر في تحصيل أغراضه الدنيوية مغمور وبسكرة الهوى وحب العاجلة مخمور ينادى إلى الله وإلى الدار الاخرة من مكان بعيد ولا يستجيب للناصح ويتبع كل شيطان مريد الدنيا تسخطه وترضيه والهوى يصمه عما سوى الباطل»[٧٩].

وعندما يتكلم- رحمه الله- عن هذا النوع من القلوب نلاحظ أنه يقف على النقيض من النوع الاول من القلوب، فصاحب هذا القلب همه إشباع شهواته وغرائزه لا يبالي إذا ماكانت تتعارض مع ما يرضي الله سبحانه ولا يستجيب لنصح ولادعوة ولا تؤثر فيه تربية، والحقيقة أن ابن القيم يحذر من هذا القلب ذلك أن صاحبه وجاره وجميع أفراد مجتمعه فلا رادع يردعه ولا وازع يلزمه فهو الى الشيطان أقرب من دعوة الرحمن لذلك فإن سلوكياته وأخلاقياته سلبية في كل الاتجاهات العقائدية أو الاخلاقية أو التعاملية.

ثم يتكلم عن القلب الثالث وهو الذي اطلق عليه القلب المريض فيقول عنه «والقلب الثالث: قلب له حياة وبه علة فله مادتان تمده هذه مرة وهذه أخرى وهو لما غلب عليه منهما ففيه من محبة الله تعالى والإيمان به والإخلاص له والتوكل عليه: ما هو مادة حياته وفيه من محبة الشهوات وإيثارها والحرص على تحصيلها والحسد والكبر والعجب وحب العلو والفساد في الأرض بالرياسة: ما هو مادة هلاكه وعطبه وهو ممتحن بين داعيين: داع يدعوه إلى الله ورسوله ﷺ والدار الآخرة وداع يدعوه إلى العاجلة وهو إنما يجيب أقربهما منه باباً وأدناهما إليه جواراً»[٨٠]، وبعد ان يفرغ ابن القيم من شرح هذه التقسيمات الثلاثة للقلب يتجه تلخيص مجمل كلامه بوصف القلوب الثلاثة فيقول رحمه الله «فالقلب الأول حى مخبت لين واع والثاني يابس ميت والثالث مريض فإما إلى السلامة

أدنى وإما إلى العطب أدنى»[٨١] ثم بعد ذلك يستدل على ما سبق ذكره بأدلة من القران الكريم أو السنة النبوية اذ يؤكد ان الله سبحانه قد جمع هذه القلوب الثلاثة في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٥٢ لِّيَجۡعَلَ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ٥٣ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤۡمِنُواْ بِهِۦ فَتُخۡبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٤ ﴾[٨٢].

فجعل الله سبحانه وتعالى القلوب في هذه الآيات ثلاثة: قلبين مفتونين وقلبا ناجيا فالمفتونان: القلب الذي فيه مرض والقلب القاسي والناجي: القلب المؤمن المخبت إلى ربه وهو المطمئن إليه الخاضع له المستسلم المنقاد.

ثانياً- محاسبة النفس:

يدعو ابن القيم الفرد المسلم الى محاسبة نفسه دوماً وعند القيام بأي عمل ويقسم هذا العمل الى نوعين فيقول: «نوع قبل العمل ونوع بعده فأما النوع الأول: فهو أن يقف عند أول همه وإرادته ولا يبادر بالعمل حتى يتبين له رجحانه على تركه»[٨٣].

وهنا يدعو ابن القيم- رحمه الله- الفرد المسلم قبل القيام بإي عمل أن ينظر ويتفكر هل إن المصلحة الاتية من هذا العمل أرجح من المفسدة أم العكس وعلى هذا الأساس يقيس العمل فإن كانت المصلحة أرجح أقدم عليه وأما العكس فإنه يتوقف.

النوع الثاني: محاسبة النفس بعد العمل وهو ثلاثة أنواع:

أحدها: محاسبتها على طاعة قصرت فيها من حق الله تعالى فلم توقعها على الوجه الذي ينبغي وحق الله تعالى في الطاعة ستة أمور تقدمت وهي: الإخلاص في العمل والنصيحة لله فيه ومتابعة الرسول ﷺ فيه وشهود مشهد الإحسان فيه وشهود منة الله عليه وشهود تقصيره فيه بعد ذلك كله فيحاسب نفسه: هل وفى هذه المقامات حقها وهل أتى بها في هذه الطاعة.

الثاني: أن يحاسب نفسه على كل عمل كان تركه خيرا له من فعله.

الثالث: أن يحاسب نفسه على أمر مباح أو معتاد: لم فعله وهل أراد به الله والدار الآخرة فيكون رابحاً أو أراد به الدنيا وعاجلها فيخسر ذلك الربح ويفوته الظفر به[٨٤].

وهذا النوع من محاسبة النفس يصب في صلب المنهج التربوي الذي دعا اليه ابن القيم–رحمه الله– فالانسان المسلم إذا ما الزم هذا المنهج وجلس مع نفسه في خلوة ليحاسب نفسه على الاعمال التي قام بها لهذا اليوم على وفق هذه المحاور الثلاثة فإنه سيجد نفسه حتماً مقصراً وبالتالي فإنه سيحاول أن يحسن الصحيح أو يصحح الخاطئ من الاعمال التي قام بها وستجده بعد مدة وجيزة عابداً لله تعالى معيناً لجاره مغيثاً لصاحب الحاجة متكافلاً مع افراد مجتمعه مخلصاً في جميع هذه الاعمال لله تعالى.

ثالثاً- الغني:

«والغنى قسمان غنى سافل وغنى عال فالغنى السافل الغني بالعواري المستردة من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث وهذا أضعف الغنى فإنه غنى بظل زائل وعارية ترجع عن قريب إلى أربابها فإذا الفقر بأجمعه بعد ذهابها وكأن الغنى بها كان حلما فانقضى ولا همة أضعف من همة من رضي بهذا الغنى الذي هو ظل زائل وهذا غنى أرباب الدنيا الذي فيه يتنافسون وإياه يطلبون وحوله يحومون ولا أحب إلى الشيطان وأبعد عن الرحمن من قلب ملآن بحب هذا الغنى والخوف من فقده»[٨٥]، ثم تكلم رحمه الله عن القلب العالي وبين انه على ثلاث درجات الدرجة الأولى غنى القلب والدرجة الثانية غنى النفس وهو استقامتها على المرغوب وسلامتها من الحظوظ وبراءتها من المراءاة والدرجة الثالثة الغنى بالحق وهو ثلاث مراتب الأولى شهود ذكره إياك والثانية دوام مطالعة أوليته والثالثة الفوز بوجوده[٨٦].

رابعا- قوة الانسان:

يتكلم ابن القيم– رحمه الله– عن الانسان وسعادته في الدارين إذ يؤكد أنها لا تحصل الا من خلال تكامل قوتيه العلمية النظرية والعملية الادراية فعلى هذا الأساس يقسم

الانسان إذا ما اراد أن ينال السعادة فيقول «للانسان قوتان قوة علمية نظرية وقوة عملية ارادية وسعادته التامة موقوفة على استكمال قوتيه»(٨٧).

«ثم يشرع- رحمه الله- ببيان كيف يستكمل الانسان قوتيه وذلك من خلال المعرفة بربه ومعرفة الطريق التي توصل الى مرضاته وأن استكمال القوة العملية يكون بمراعاة حقوق الله سبحانه على عباده والقيام بها وأن يعتقد الفرد المسلم أن استكمال هاتين القوتين لا يكون الا بمعونة الله تبارك وتعالى لذلك فإنه يقول «استكمال القوة العلمية إنما يكون بمعرفة فاطره وبارئه ومعرفة أسمائه وصفاته ومعرفة الطريق التي توصل إليه ومعرفة آفاتها ومعرفة نفسه ومعرفة عيوبها فبهذه المعارف الخمسة يحصل كمال قوته العلمية وأعلم الناس أعرفهم بها وأفقههم فيها واستكمال القوة العملية الإرادية لا تحصل إلا بمراعاة حقوقه سبحانه على العبد والقيام بها إخلاصاً وصدقاً ونصحاً وإحساناً ومتابعةً وشهوداً لمنته عليه وتقصيره هو في أداء حقه فهو مستحي من مواجهته بتلك الخدمة لعلمه إنها دون ما يستحقه عليه ودون دون ذلك وانه لا سبيل له إلى استكمال هاتين القوتين إلا بمعونته فهو مضطر إلى أن يهديه الصراط المستقيم الذي هدى إليه أولياءه وخاصته وان يجنبه الخروج عن ذلك الصراط إما بفساد في قوته العلمية فيقع في الضلال وإما في قوته العملية فيوجب له الغضب»(٨٨)، ويتضح من ذلك أن شقاء الانسان يكون في خسارة قوتيه أو أحداهما ولذلك فإن على الانسان أن يحرص عليهما كليهما.

خامساً- المعرضون عن الهدى والحق:

يصف ابن القيم- رحمه الله- المعرضون عن الهدى والحق بأوصاف يفهم منها أنه يقسمهم على قسمين، فتبيان أحوال هذه الفئة من الناس ومعرفة الفرد المسلم بأوصافهم تعود عليه بالفوائد الايجابية لأنه سيسعى قدر استتطاعته أن يتحاشا هذين النوعين من الناس ليكون على طريق الحق وهو الطريق التربوي الذي خطه رسول الله ﷺ فيسير بعد ذلك على هداه ويقتضي أثره وخطاه فينعكس هذا الأمر ايجاباً على سلوكيات الفرد المسلم وتعاملاته مع أفراد مجتمعه، فلنتعرف على المعرضون على الهدى والحق وأنواعهم يقول ابن القيم- رحمه الله-: «من يظن أنه على شيء فيتبين له عند انكشاف الحقائق خلاف ما كان يظنه وهذه حال أهل الجهل وأهل البدع والأهواء الذين يظنون أنهم على هدى وعلم

فإذا انكشفت الحقائق تبين لهم أنهم لم يكونوا على شيء وأن عقائدهم وأعمالهم التي ترتبت عليها كانت كسراب يرى في أعين الناظرين ماء ولا حقيقة له وهكذا الأعمال التي لغير الله عز وجل وعلى غير أمره»(٨٩).

وهذا الفئة تعمل وتظن أنها على حق لكنها ليست كذلك بل هم على ضلال وهذه الفئة في الحقيقة انعكاستها السلبية على المجتمع كبيرة فإن الفرد يظن أنه على الحق ويتصرف تصرفان وفق هذا الظن وقد يؤذي أو يقتل أو يأكل حق الناس، وهو في كل هذا يعتقد أنه يتقرب الى الله والحقيقة أنه خلاف ما يعتقد، فإذا ما جاء يوم القيامة رأى اعمال كسراب في صحراء لا أثر خير له وأنما أثام وذنوب يحاسب عليها، فإذا ما فهم الانسان هذا الامر كان عليه أن يعرض اعماله على الشريعة الاسلامية فما وافقها استمر به وما خلفها تركه وتاب عنه ليفوز في الدراين ولتسعد المجتمعات من خلال تعاملات أفرادها بعضهم مع البعض الأخر والنوع الثاني: «وهم الذين عرفوا الحق والهدى وآثروا عليه ظلمات الباطل والضلال فتراكمت عليه ظلمة الطبع وظلمة النفوس وظلمة الجهل حيث لم يعلموا بعلمهم فصاروا جاهلين وظلمة اتباع الغي والهوى»(٩٠)، وهؤلاء الناس تركوا الحق بادائهم على الرغم من علمهم من الباطل وبالتالي سينلهم عذاب أليم يوم القيامة كونهم انحرفوا عن علم وهذا حال اليهود الذين علموا الحق فلم يتبعوه لكنهم اتبعوا الباطل.

سادساً- النعمة:

وعندما يريد ابن القيم- رحمه الله- أن يعرف الانسان بنعم الله عليه فإنه يقسمها الى قسمين النعمة المطلقة والنعمة المفيدة، فالاولى هي المتصلة بالسعادة الابدية، واما الثانية فهي التي يشترك فيها البر والفاجر والمؤمن والكافر فيقول: «والنعمة نعمتان نعمة مطلقة ونعمة مقيدة فالنعمة المطلقة هي المتصلة بسعادة الأبد وهي نعمة الإسلام والسنة وهي التي أمرنا الله سبحانه وتعالى أن نسأله في صلواتنا أن يهدينا صراط أهلها ومن خصهم بها وجعلهم أهل الرفيق الأعلى حيث يقول تعالى ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والصالحين وحسن أولئك رفيقا فهؤلاء الأصناف الأربعة هم أهل هذه النعمة المطلقة وأصحابها أيضا هم المعنيون»(٩١) بقول الله تعالى: ﴿أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾(٩٢).

وأما النوع الثاني من النعمة فهي التي اطلق عليها النعمة المقيدة فقال عنها:

«والنعمة الثانية النعمة المقيدة كنعمة الصحة والغنى وعافية الجسد وتبسط الجاه وكثرة الولد والزوجة الحسنة وأمثال هذه فهذه النعمة مشتركة بين البر والفاجر والمؤمن والكافر».

ويتضح من كلام ابن القيم- رحمه الله- أنه يحث الانسان أن يكون من أصحاب النعمة المطلقة أو أحد الاصناف الأربعة المذكورين في الاية الكريمة واما النوع الثاني من النعمة وهي النعمة المقيدة فهي مطلوبة وضورية لكنها ليست صدفاً أو غاية الفرد المسلم لانها مشتركة بين البر والفاجر والمؤمن والكافر.

الخاتمة

وفي مسك ختام البحث أقول أن ما كان فيه من صواب وتوفيق فمن الله تبارك سبحانه وما كان فيه من خطأ أو زلل فمني.

وبعد فقد توصل الباحث إلى مجموعة من النتائج كان من أهمها:

١. أن الإمام ابن القيم رحمه الله كان أساس فكره التربوي هو القران الكريم والسنة النبوية الشريفة.
٢. أنه رحمه الله كان يستعمل أساليب تربوية متنوعة فينتقل من أسلوب إلى أخر لتكتمل الفائدة ويتحقق الهدف التربوي المنشود.
٣. يتضح من خلال كلامه وعباراته أن لها رونقاً خاصاً تمتع القارئ وهو يطالعها وتلامس شغاف قلبه.
٤. كثيراً ما كان يستعمل رحمه الله طريقة التقسيم وهو يستعرض الفكر التربوي الإسلامي وتكمن أهمية هذه الطريقة في تسهيل عرض المادة التربوية على المتلقي فيسهل فهمها وتعلمها، ويعد هذا من الاساليب الحديثة في التربية.

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله خاتم النبيين ﷺ.

هوامش البحث

(١) ولقد ورد بصيغة (جرير) في الدرر الكامنة، ابن حجر العسقلاني، مجلس دائرة المعارف، ١٩٧٢م: ٤٧٢/١، وورد بصيغة (جريز) في ذيل طبقات الحنابلة ابن رجب، دار المعرفة، بيروت، ط٢: ٤٤٧/٢.

(٢) ينظر: الأعلام، الزركلي، بيروت، ط٣، ١٣٨٩هـ: ٣١٢/٩، شذرات الذهب، ابن عماد، دار الكتب العلمية، لبنان: ١٦٨/٦، البداية والنهاية لابن كثير مكتبة المعارض، بيروت، ط٧، ١٤٠٨هـ: ١١٠/١٤.

(٣) ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار صادر، بيروت: ١٣٥/٣.

(٤) ينظر: البداية والنهاية، مصدر سابق: ٢١١/١٣.

(٥) ينظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٩، ١٤١٣هـ: ٣٧٢/٢٣.

(٦) ينظر: البداية والنهاية، مصدر سابق: ٢٣٤/١٤، الأعلام، مصدر سابق: ١٧٣/١، ذيل طبقات الحنابلة، ابن رجب الحنبلي، دار المعرفة، بيروت، ط/ بلا: ٤٤٧/٢، شذرات الذهب: ١٨٦/٦.

(٧) ينظر: البداية والنهاية، مصدر سابق: ١١٠/١٤، الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة، مصدر سابق: ٤٧٢/١.

(٨) ينظر: شذرات الذهب، مصدر سابق: ١٧٠/٦.

(٩) ينظر: البداية والنهاية، مصدر سابق: ٢٣٤/١٤.

(١٠) ينظر أعلام الموقعين، مصدر سابق: ٩.

(١١) ينظر: الدرر الكامنة، مصدر سابق: ٢١/٤.

(١٢) وهو أبو بكر بن زين الدين احمد بن عبد الدائم بن نعمه النابلسي ولد سنة (٦٢٥هـ)، حدث قديماً في زمن أبيه، وعاش بعد ذلك دهراً طويلاً، وكان ذا همة وفهم، وله عباده وصار مسند دهره كأبيه، توفي في رمضان سنة (٧١٨هـ). ينظر: شذرات الذهب، مصدر سابق: ٤٨/٦، ذيل طبقات الحنابلة، مصدر سابق: ٤٤٧/٢، العبر في خبر من غبر للذهبي، دار الكتب العلمية، لبنان، مصدر سابق: ٣١٧/٣.

(١٣) هو تقي الدين أبو العباس احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن أبي القاسم ابن تيمية الدمشقي ولد سنة (٦٦١هـ)، وقدم به أبوه عند استيلاء التتار على البلاد إلى دمشق فأخذ من ئعلمائها، وتعلم من صغره الفقه والأصول والتفسير والعربية. صنّف، ودرّس وأفتى، وفاق الأقران، كان له اطلاع على مذاهب السلف والخلف، وقد امتحن وأوذي مرات صنف تصانيف كثيرة تفوق الحصر. ينظر ترجمته في: البداية والنهاية، مصدر سابق: ١٦٣/١٤، الدرر الكامنة، مصدر سابق: ١٥٤/١، تذكرة الحفاظ للذهبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ط٤: ١٤٩٦/٤.

(١٤) ينظر: البداية والنهاية، مصدر سابق: ٢٣٤/١٤.

(١٥) ينظر: الدرر الكامنة، مصدر سابق: ٢١/٤.

(١٦) هو الحافظ زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن الشيخ الإمام المقرئ المحدث شهاب الدين احمد بن الشيخ الإمام المحدث أبي احمد رجب عبد الرحمن الدمشقي،ولد ببغداد سنة (٧٠٦هـ) أكثر الاشتغال حتى مهر، وقرأ القرآن بالروايات، وأكثر عن الشيوخ حتى خرج لنفسه مشيخه مفيدة، له مصنفات منها (شرح علل الترمذي، والقواعد الفقهية، وذيل طبقات الحنابلة) وتوفي سنة (٧٩٥هـ). ينظر: الدرر الكامنة، مصدر سابق: ٤٢٨/٢، شذرات الذهب، مصدر سابق: ٣٣٩/٦.

(١٧) هو علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن يوسف بن موسى ابن تمام بن مساعد بن يحيى بن عمر بن عثمان بن علي بن سوار بن سليم السبكي الشافعي، ولد بسبك العبيد سنة (٦٨٣هـ) وذكر ابن حجر انه رحل لطلب الحديث إلى الشام والإسكندرية والحجاز فأخذ عن بعض الشيوخ ومنهم ابن القيم. توفي سنة (٧٥٦هـ). ينظر: البداية والنهاية، مصدر سابق: ٢٥٢/١٤، الدرر الكامنة، مصدر سابق: ١٣٤/٣.

(١٨) هو عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء القيسي البصروي الأصل، نسبة لبصرى الشام- الدمشقي الشافعي ولد سنة (٧٠٠هـ) أو بعدها بيسير وفي دمشق نشأ يطلب العلم ويسمع الشيوخ ويحفظ المتون، أفتى ودرّس، وناظر وبرع في الفقه والتفسير والنحو وأمعن النظر في الرجال والعلل، سارت تصانيفه في البلاد في حياته، وانتفع بها الناس بعد وفاته، ومنها: (تفسير القرآن العظيم، الأحكام الكبرى والصغرى في الحديث، البداية والنهاية، الفصول في اختصار سيره الرسول) توفي

في يوم الخميس السادس والعشرين من شعبان سنة (٧٧٤هـ). ينظر: الدرر الكامنة، مصدر سابق: ٣٩٩/١، طبقات المفسرين للداودي، مصدر سابق: ١١٠/١، البداية والنهاية، مصدر سابق: ٢٣٤/١٤.

[١٩] ينظر: البداية والنهاية، مصدر سابق: ٢٠٢/١٤-٢٣٤، الدرر الكامنة، مصدر سابق: ٢١/٤.

[٢٠] ينظر: الدرر الكامنة، مصدر سابق: ٢٢/٤.

[٢١] ينظر: البداية والنهاية، مصدر سابق: ٢٠٢/١٤، ذيل طبقات الحنابلة طبقات ابن رجب، مصدر سابق: ٤٤٨/٢، الدرر الكامنة، مصدر سابق: ٢٢/٤.

[٢٢] سورة النساء: الآية ٥٩.

[٢٣] ينظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، ٧٥١هـ، طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة- مصر، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م: ٤٨/١.

[٢٤] سورة الحجرات: الآية ٢.

[٢٥] ينظر:إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، مصدر سابق: ٥١/١.

[٢٦] سورة الاعراف: الآية ٣٣.

[٢٧] ينظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، مصدر سابق: ٣٨/١.

[٢٨] سورة النحل: الايتان ١١٦-١١٧.

[٢٩] ينظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، مصدر سابق: ٣٨/١.

[٣٠] سورة التوبة: الآية ١١١.

[٣١] ينظر: حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت: ٥٨/١.

[٣٢] الجامع الصحيح، الترمذي، بيروت، دار احياء التراث العربي: رقم ٢٤٥٠، ٦٣٣/٤.

[٣٣] سورة الرعد: الآية ٢٨.

[٣٤] صحيح مسلم، بيروت، دار الجيل: رقم ٥٦٦، ١٤٠/١.

[٣٥] مسند احمد بن حنبل، القاهرة، مؤسسة قرطبة: رقم ٢٣٤٠٣، ٣٩٥/٥.

[٣٦] ينظر: جواب في صيغ الحمد، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد بن إبراهيم السعران، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤١٥هـ: ٥٦.

(٣٧) سنن الترمذي: رقم ٢٢١٢، ٤/٤٩٥.

(٣٨) سنن الترمذي: رقم ٢٢١٠، ٤/٤٩٥.

(٣٩) ينظر: إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م: ١/٢٦٧.

(٤٠) صحيح البخاري، باب الحراسة في الغزو في سبيل الله: رقم ٢٦٧٣، ١٠/١١.

(٤١) ينظر: إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ابن قيم الجوزية، مصدر سابق: ٢/١٤٩.

(٤٢) ينظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت: ٥.

(٤٣) صحيح ابن حبان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣م: رقم ٨٩١، ٣/١٧٣.

(٤٤) سورة العنكبوت: الآية ٤٣.

(٤٥) سورة الحجرات: الآية ١٢.

(٤٦) ينظر: أمثال القرآن، ابن قيم الجوزية، دراسة وتحقيق: ناصر بن سعد الرشيد، مطابع الصفا، مكة المكرمة- المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م: ٣٦.

(٤٧) سورة إبراهيم: الايتان ٢٤- ٢٥.

(٤٨) ينظر: أمثال القرآن، ابن القيم الجوزية، مصدر سابق: ٣٧.

(٤٩) سورة الزلزلة: الآيتان ٥-٦.

(٥٠) ينظر: حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، ابن القيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت: ٧١.

(٥١) صحيح البخاري باب من اتاه سهم غرب فقتله: رقم ٢٦٥٤، ٣/١٠٣٤.

(٥٢) ينظر: حادي الارواح، ابن القيم الجوزية، مصدر سابق: ٧٣.

(٥٣) المعجم الاوسط للطبراني، القاهرة، دار الحرمين، ١٤١٥هـ: رقم ٨٦٣٥، ٨/٢٧٩

(٥٤) البعث والنشور للبيهقي، بيروت، دار الكتب الثقافية، ١٩٨٨م: ١/١٣٧.

(٥٥) ينظر: التبيان في أقسام القرآن، ابن قيم الجوزية، دار الفكر، بيروت: ١٦٩.

(٥٦) سورة الطور: الآية ١٨.

(٥٧) ينظر: التبيان في أقسام القرآن، ابن قيم الجوزية، مصدر سابق، ص١٦٩.

(٥٨) سورة الطور: ٧- ٨.

(٥٩) ينظر: التبيان في أقسام القرآن، ابن قيم الجوزية، مصدر سابق، ص١٦٧.

(٦٠) ينظر: التفسير القيم، ابن قيم الجوزية، جمع وترتيب محمد ادريس النووي: ١٢٠.

(٦١) سورة طه: الآيتان ١٢٣- ١٢٦.

(٦٢) سورة النحل: الآية ١٢٥.

(٦٣) ينظر: الفوائد، ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م: ٥٦.

(٦٤) ينظر: المصدر نفسه: ٥٦.

(٦٥) ينظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ابن قيم الجوزية، مصدر سابق: ٢٤.

(٦٦) ينظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواع الشافي، ابن قيم الجوزية، مصدر سابق: ١٠.

(٦٧) ينظر: التبيان في أقسام القرآن، ابن قيم الجوزية، مصدر سابق: ١٨٩.

(٦٨) ينظر: التبيان في أقسام القرآن، ابن قيم الجوزية، مصدر سابق: ١٩٠.

(٦٩) صحيح البخاري، باب الخطبة: رقم ٤٨٥١، ١٩٧٦/٥.

(٧٠) ينظر: حادي الارواح، الى بلاد الافراح، ابن قيم الجوزية، مصدر سابق: ٥.

(٧١) ينظر: حادي الارواح، الى بلاد الافراح، ابن قيم الجوزية، مصدر سابق: ٦.

(٧٢) ينظر: حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، ابن قيم الجوزية، مصدر سابق: ٥-٧.

(٧٣) ينظر: اعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، مصدر سابق: ١٠.

(٧٤) ينظر: إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ابن قيم الجوزية، مصدر سابق: ٧/١.

(٧٥) ينظر: المصدر نفسه: ٧/١.

(٧٦) سورة الشعراء: الايتان ٨٨- ٨٩.

(٧٧) ينظر: اغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ابن قيم الجوزية، مصدر سابق: ٧/١-٨.

(٧٨) سورة الحجرات: الآية ١.

(٧٩) ينظر: اغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ابن قيم الجوزية، مصدر سابق: ٩/١.

(٨٠) ينظر: المصدر نفسه: ٩/١.

(٨١) ينظر: المصدر نفسه: ٩/١.

(٨٢) سورة الحج: الايتان ٥١-٥٤.

(٨٣) ينظر: إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ابن قيم الجوزية، مصدر سابق: ٨١/١.

(٨٤) ينظر: المصدر نفسه: ٨٢/١.

(٨٥) ينظر: طريق الهجرتين وباب السعادتين، ابن قيم الجوزية، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم، الدمام، ط٢، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م: ٥٩-٦٠.

(٨٦) ينظر: المصدر نفسه: ٦٠-٦١.

(٨٧) ينظر: الفوائد، ابن قيم الجوزية، مصدر سابق: ١٨.

(٨٨) ينظر: المصدر نفسه: ١٩.

(٨٩) ينظر: أمثال القرآن، ابن قيم الجوزية، مصدر سابق: ٢٢.

(٩٠) ينظر: المصدر نفسه: ٢٣.

(٩١) ينظر: اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م: ٤.

(٩٣) سورة المائدة: الاية ٣.

المصادر والمراجع

القران الكريم

١. ابن عماد الحنبلي، شذرات الذهب في اخبار من ذهب، دار الكتب العلمية، لبنان، ط بلا.

٢. ابن كثير، البداية والنهاية، مكتبة المعارض، بيروت، ط٧، ١٤٠٨هـ.

٣. ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط بلا، ١٩٥٦م.

٤. ابن رجب الحنبلي، ذيل طبقلت الحنابلة، دار المعرفة، بيروت، ط بلا.

٥. ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة، مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط٢، ١٩٧٩م.

٦. خير الدين الزركلي، الأعلام، بيروت، ط٣، ١٣٨٩هـ.

٧. محمد بن احمد الذهبي، تذكرة الحفاظ، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ط٤.

٨. محمد بن احمد الذهبي، العبر في خبر من غبر، دار الكتب العلمية، لبنان، ط بلا.

٩. محمد بن احمد الذهبي، سيرأعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٩، ١٤١٣هـ، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم.
١٠. محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ٧٥١هـ، إعلام الموقعين عن رب العالمين، طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة- مصر، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.
١١. محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ٧٥١هـ، حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، دار الكتب العلمية، بيروت.
١٢. محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ٧٥١هـ، جواب في صيغ الحمد، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤١٥هـ، تحقيق: محمد بن إبراهيم السعران.
١٣. محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م، تحقيق: محمد حامد الفقي.
١٤. محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت.
١٥. محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، أمثال القرآن، دراسة وتحقيق: ناصر بن سعد الرشيد، مطابع الصفا، مكة المكرمة- المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
١٦. محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، التبيان في أقسام القرآن، دار الفكر، بيروت.
١٧. محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، التفسير القيم، جمع وترتيب محمد ادريس النووي.
١٨. محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، الفوائد، الدار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.
١٩. محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت.
٢٠. محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، طريق الهجرتين وباب السعادتين، دار ابن القيم، الدمام، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر.
٢١. محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، أمثال القرآن، مطابع الصفا، مكة المكرمة- المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، تحقيق: ناصر بن سعد الرشيد.
٢٢. محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.